

التفهم لدى الآباء إعداد أسرة التراث الأرثوذكسي

يجب أن نتعلم التفهم في تعاملنا مع الآخرين لأن موقفنا هو مرآة تكشف حقيقتنا. لا ينبغي أن ننسى أن الجبابة والعاهرات تابوا وخلصوا، فيما الكتبة والفريسيون الذين أدانواهم لم يتوبوا. لسنا مُعَيَّنِينَ لنكون قضاة على الآخرين. يعود هذا الدور حصرياً إلى ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي سيديننا جميعاً بحسب أعمالنا في مجيئه المجيد. لذلك لا ينبغي لنا أن نعتقد أننا نعرف مستقبل إخوتنا من البشر. بل علينا أن ننظر إلى أنفسنا ونكون قضاة صارمين على ذواتنا ومتسامحين مع الآخرين.

فقط بالمثال المقدس المشرق وبالكلمات الطيبة والقناعة يمكننا مساعدة أصحاب النوايا الحسنة، وليس بالكلمات السيئة والتمثيل المسرحي. بدلاً من أن نهتم بأخطاء الآخرين، نكون أفضل حالاً إذا حاولنا اكتشاف فضائلهم، والتي غالباً ما تكون مخفية. يجب أن نعمل على جمع الأحجار الكريمة التي نميزها في فضائل الآخرين، بدلاً من أن نكون جامعي قمامة ينقبون في نفايات البؤس البشري. نحن مدعوون إلى أن نقلد النحل الذي ينتقل من زهرة إلى زهرة، بدلاً من الذباب الذي يكتفي بالقذارة.

يلاحظ القديس باسيليوس الكبير أن الأشخاص الذين يهتمون باستمرار بالفساد والشر وآثام الآخرين هم مثل النسور التي تطير فوق المروج والأماكن العطرة الجميلة، لكنها تكون في عجلة من أمرها للوصول إلى الجثث المتعفنة.

قبل أن نحكم على الآخرين، يجب أن نضع في اعتبارنا مصافي سقراط الثلاثة: هل ما نقوله صحيح وضروري ومفيد؟ إذا لم يكن الأمر كذلك، فعلياً أن نلتزم الصمت ونصلي إلى الله طالبين الرحمة، لأنه إذا التفت إلى خطايانا، فما من أحد يستطيع الادعاء أنه بلا لوم. وبالمثل، لا ينبغي أن ننسى تعليم القديس بولس عن أن المحبة دائماً: "تَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُزْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتُضْبِرُّ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ". (١ كورنثوس ١٣:٧).

كما يشارك علماء الآثار في ترميم الآثار القديمة لإعادتها إلى مجدها السابق، يجب أن نوظف حياتنا الطيبة والمسيحية الفاضلة وكلماتنا اللطيفة لاستعادة وإعادة تأهيل الحطام البشري من حولنا. لا نقلد رسامي الكاريكاتير الذين يبالغون في الأشياء لكي يسخروا منها؛ بدلاً من ذلك، لنقلد الصُّقْل الذي يمارسه الرسام الذي ينقح الأشياء لجعلها أجمل.

تماماً كما تحتاج إلى الملح لصنع الخبز المناسب، أنت بحاجة إلى المحبة مع الفضائل. بدون المحبة لا يمكنك تطبيق الفضائل، لأن كل فضيلة تتعزز بالمحبة والتواضع. فمن جهة، يرفع التواضع من يمتلكونه إلى ذروة الإنجازات العظيمة. أما من الجهة الأخرى، فإن المحبة تبقيهم راسخين حيث هم وتمنعهم من السقوط. لذا، فلنجاهد بكل قوتنا لاكتساب المحبة، حتى لا يأخذنا أعداؤنا أسرى (القديس إفتيميوس).

- * حياتنا وموتنا يعتمدان على أختينا. لأننا إذا انتصرنا على أختينا أو أختنا فإننا نكسب الله. وإذا فضحنا أختانا، فهذه خطيئة ضد المسيح (القديس أنطونيوس الكبير).
- * عندما يبدأ الناس بالشعور في أرواحهم بقوة بالمحبة تجاه الله، فإنهم في نفس الوقت يبدؤون بمحبة أخيهم بشعور روعي.
- * بحسب القديس دياдохوس فوتيكي، لا يستطيع أحد أن يحب أو يؤمن حقاً إذا كان ضميره يضايقه.
- * من المستحيل أن نقتني محبة راسخة (لله) إذا كنا نحتفظ بموقف عدائي تجاه أي شيء أرضي.
- * بحسب القديس بولس، إذا اقتنى الناس كل مواهب الروح، لكن لم يقتنوا المحبة، فلا نفع لهم. يخبرنا القديس مكسيموس المعترف أن علينا أن نعمل بجد كبير لاكتساب المحبة.
- * يقول القديس يوحنا ذهبي الفم: "لا تتجاهل محنة قريبك، ولكن ليهتم كل واحد منكم بخطف قريبه من فم الشيطان".
- * يعلمنا الأب كاسيانوس أنه عندما لا نتمكن من محبة الله، فإن الصوم واليقظة والفقر وقراءة الكتاب المقدس لن تجعلنا أكثر احتراماً.
- * يؤكد القديس يوحنا السلمي أنه إذا كنا نفتقر إلى المحبة، أي أننا لا نحب الله ولا إخوتنا وأخواتنا المسيحيين، فالإيمان والرجاء لا قيمة لهما.
- * يعلم القديس ديمتري روستوف أن محبة المؤمنين لله باطلة إذا كانت مماثلة لمحبة الأخ، لأننا لا نستطيع مساواة الخالق بالمخلوق. ينبغي أن تكون محبة الله كما يكون الخالق محبوباً ومكرماً أكثر من أي مخلوق.